

التأويل وأداؤه الوظيفي - مقارنة تراثية -

المدرس نوار محمد إسماعيل

جامعة الموصل / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الأستاذ المساعد عماد عبد يحيى

جامعة الموصل / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

المخلص

التأويل إصغاء قديم في ثقافتنا، إصغاء لما يقال وما لم يقل على السواء، إذ يجب ان نذهب إلى ما وراء النص بحثاً عن جانب محذوف لم يقله، أو لم يفصح عنه، وأصبحت هذه غاية التفسير والتأويل معاً.

فالتأويل هو حوار بين محذوف ومذكور، أو هو استعادة الباطن فيما وراء الظاهر دون أن يخل ذلك بحدود الدلالات التي تحملها بنية اللغة محاولة تقليب كل الدلالات التي تعكس فاعلية الاستتباط الذاتي في توجيه المعنى على غير ظاهر النص القائم على أسس معرفية (مرجعيات) منها معرفة بالمعطيات اللغوية، وبحقائق نصية خاصة بالمعنى الظاهر التي تعد بمثابة مفاتيح دلالية تمكن القارئ من الدخول إلى عالم النص وكشف أسراره وغوامضه، فاحتواء النص على الغموض والوضوح تمنح المؤول آلية استيعاب شبكة منظومة الدوال التي تمكنه من الوقوف على احتمال تأويلات معان متعددة والتي لا يتوصل إليها إلا بعد نظر وتأمل في القرائن محققاً بذلك غايته في الكشف عن المقاصد المغيبة سعياً لفهم النص وفق طاقة المؤول.

ولاتخرج منطلقات التأويل أيضاً في النص القرآني عن مبدأ تفاعل الظاهر والباطن، وعن الارتكاز على الأفق المعرفي للمتلقي، وعن الحركة الذهنية التي تبني المعنى من تفاعلها مع النص كله.

وبهذا فالتأويل قائم على التفاعل المشترك بين النص والقارئ، النص : بما يمتلكه من سمات تجعله قابلاً للتأويل، وبما يحدث في المتلقي من أثر استجابة تجعله يتفاعل

معه، والقارئ بما تمنحه القراءة للنص من خاصية انفتاحية للتأويل الذي يساهم في إنتاج الدلالات المتعددة التي يحتملها النص الواحد.

التأويل وأدائه الوظيفي

ظلت اللغة العربية الفصحى تحمل معها المعجم بوصفه إطاراً مرجعياً فكرياً عبر العصور، وقد ظل المعجم معيناً لتلمس المجال التداولي الاصلي والحقل المعرفي الخاص بالمفردات، من هنا كان علينا النظر الى مفردة (التأويل) لتبين ما اكتسبته من طویل تجربتها القولية بدخولها في سياقات استعمال وهي محملة بتاريخها الدلالي.

فكان التأول والتأويل ((تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه))^(١)، فهو الوصول بالكلام الى الوضوح والكشف عن مرماه، وهذا الكلام فيه معان مختلفة ومتعددة، ولا يمكن للمؤول ان يكتفي بظاهر لفظه فحسب ليفهم المراد منه، لتعدد اوجه المعنى فيه، ولا يتوصل الى بيانه الا بتجاوز ما هو ملفوظ، لانه ((لا يصح إلا ببيان غير لفظه))، فحمله على غير ظاهره فيه احتراز عن الخطأ (عنده)، كما ان في قوله إشارة إلى تعلق التأويل بالمعنى ؛ لأنه خصه بالكلام الذي ((تختلف معانيه))، وقد ذهب الازهري (ت ٣٧٠ هـ) إلى ما هو ألتصق بالمعنى الحسي في فهمه للمصطلح فقال: ((الأول الرجوع، وقد آل يؤول أولاً، وآل القطران يؤول أولاً إذا خثر))^(٢)، وفي هذا إشارة إلى معنى المأل والعاقبة ؛ لان معنى الأول ان ما بعده يؤول اليه وينبني عليه، فهو أس لما بعده وقاعدة له، وينسجم مع معنى المأل معنى آخر هو السياسة، فيقول: ((وآل يؤوله إيالة إذا أصلحه وساسه.. وإنما هو تفعلة من آله أي أصلحته))^(٣). فالسياسة إنما تكون بقصد إصلاح الامر والبلوغ به إلى المأل الاسلام، وهو بهذا ينسجم مع معنى العاقبة، فالازهري يشير من خلال صيغة (تفعلة) الى اشتراك عنصرين لاحداث تفاعل، ويمكن ان نفهم منه إشارة إلى وجود تفاعل ذهني قائم بين (المؤول والنص) المؤول أو الكلام ؛ لان المراد لن يبلغ إلا بوجود تفاعل يوجد (الموضوع) مع (المؤول)، وعلى ذلك فان التأويل متابعة الشيء بالسياسة والإصلاح حتى يصل إلى غايته ومنتهاه، وذهب ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) الى ان للجذر (الهمزة والواو واللام) اصلين ((ابتداء الامر وانتهاءه ... وآل

يؤول أي رجع، وأول الحكم إلى اهله أي أرجعه ورده اليهم، ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه ذلك (...))^(٤) ويمكن ان نلاحظ في معنى (اول) القصديّة ؛ أي الفعل الارادي لعملية الفهم ؛ فهو تخطي ما هو ظاهر بزيادة فعل مقصود يقوم به السامع او القارئ، واجراء معرفي يتخذه للاهتمام الى مقاصد النص، وقد اوضح الجوهري (ت ٤٠٠ هـ) فكرة وصول المؤول من خلال التفسير الى (ازالة العقبات امام عملية الفهم) الى مراد المتكلم فيقول: ((التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء))^(٥). ويمكن ان نعد ما ذكر مرحلة أولى في فهم المصطلح تميزت بكونه حمل فيه على دلالاته اللغوية الاصلية، ويمكن ان تلتقي دلالة المصطلح اللغوية (الرجوع الى الاصل) و(الوصول الى الغاية او العاقبة) في بؤرة واحدة توحى بوجود حركة ذهنية في فعل التأويل، والذي تكون فيه الفاعلية للذات المؤولة، وهذه الحركة الذهنية إما في اتجاه الاصل بالرجوع أو في اتجاه الغاية (والعاقبة) بالرعاية والسياسة، ونستطيع ان نقول ان ابن منظور (ت ٧١١هـ) فيما نقله عن علماء اللغة في ذلك الوقت قد ادخل المصطلح مرحلة ثانية هي اكثر وضوحاً من الخليل، الذي لحظنا عنده بذور مفهوم التأويل الذي تبناه علماء الاصول^(٦) فيما بعد، قال ابن منظور: ((يقال: آلت الشيء أووله إذا جمعته واصلحته فكان التأويل جمع معاني الفاظ اشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه))^(٧)، وفي قوله إشارة ثانية إلى اهمية عملية التأويل أو اتصالها بالمعاني اكثر من اللفظ مفرداً، فالمسألة مسألة انسجام لغوي في سياق معين؛ لانه قال: ((جمع معاني الفاظ))، والاشكال قد يراد به كون اللفظ مشتركاً بين معنيين، أو عدة معان مختلفة حقيقية أو مجازاً، من غير ان يدل اللفظ بنفسه على معنى معين من معانيه فلا يفهم الا بدليل وبعد نظر وتأمل في القرائن، ولا يزول هذا الإشكال أو (الخفاء) إلا بالاجتهاد والنظر في القرائن، حتى يتعين المراد ويترجح عن اللفظ المشكل، ولذا يتحول اللفظ داخل نظام لغوي معين من مجال دلالي إلى مجال آخر، ويحتاج عندئذ الى تجاوز دلالة المنطوق اللغوي الى ما هو ابعد، وهذه الحركة الانتقالية في مستويات الدلالة تستلزم وجود مرجعيات يعتمدها المؤول في توجيه المعنى على غير ظاهر النص، لذا ذكر ابن منظور ((ان المراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الاصيلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ))^(٨)، من هنا كان دور المؤول

يتخطى ظاهر الخطاب؛ لكي يمتلك ما يعده باطنه، ليزيد على المعنى الظاهر عنصراً آخر تخفيه شبكة العلاقات السياقية، فالمؤول يحول الخطاب إلى إشكال يستتبط منه ويتحرك فيه، وهناك من جعل التأويل عنواناً يضم تحته عمليات ثلاثاً: التدبير والتقدير والتفسير، فيبدو التفسير إحدى الخطوات الموصلة إلى التأويل (عملية الفهم) أو الوصول إلى المراد، وتلتقي العناصر الثلاثة التدبير والتقدير والتفسير بالدلالة على وجود ذات فاعلة في الكلام تبتغي الوصول إلى مراد المتكلم، فالاجراء التأويلي يعنى بالفهم والإفهام معاً، فالتأويل يتدخل من اجل تبليغ مسألة تحتاج إلى الكشف والإيضاح للسامعين عن المقاصد غير المعلنة، ويكمن عمل المؤول بتجاوز ما هو معطى (الظاهر) إلى ما هو خفي (الباطن)، ولابد لنا من ان نذكر ان مبدأ الظاهر والباطن كان من اهم مرتكزات العلماء والنقاد لغوياً وفكرياً في الكلام عن التأويل، كما ان احتمال اللغة اكثر من معنى عمق هذا الاتجاه، فقد أشار الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) فيما نقله من حوار بين المأمون، وبين مرتد ان اللغة قابلة للتأويل استناداً إلى طبيعتها التي تسمح بوجوده من المعنى، وتعد مجال منافسة العقل وإعماله والاجتهاد والبحث عن أسباب العلم^(٩)، وجعل ابن قتيبة (ت ٢٣٦ هـ) ما يحتاج من النصوص إلى تأويل أي ما تعددت اوجه معانيه (مشكلاً)، وقد تعود سبب تسميته تلك إلى أن هناك من ركز فاعليته العقلية على تطويع اللفظ لجعله يوافق مذهبه، فقد اسماه (تأويل مشكل القرآن)، وقال في مقدمته: ((ألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن؛ مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما لم اعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات العرب؛ لأري المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي؛ أو اقضي عليه بتأويل، ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير؛ إذ كنت لم أقتصر على وحي القوم حتى كشفته، وعلى إيمانهم حتى أوضحته وزدت في الالفاظ ونقصت، وقدمت وأخرت، وضربت بذلك الأمثال والأشكال حتى يستوي في فهمه السامعون))^(١٠). فهو يجد الإشكال ظاهراً على سطح النص من خلال لغته المجازية. ونجده يحدد الأبعاد الدلالية للمصطلح، فهو لا يبتعد بالمعنى عن معطيات النص وظاهره، ويقوم بالاستتباط الذي هو قوام عملية التأويل معتمداً على التفسير (بزيادة الشرح والإيضاح) وكأن المؤول يحتاج إلى آفاق معرفية

تتجاوز ما تنتيحه عملية التفسير، ويحتاج المؤول إلى أن يكون مدركاً للمدى الدلالي الذي تستغرقه المفردات في الإطار اللغوي المتداول عند العرب، وهو لا ينصح بالاستبداد بتأويل معين تحتمله اللغة تعصباً لمذهب من المذاهب، ثم أن الهدف هو الوصول إلى إيضاح المقاصد على حد تعبيره، (حتى أوضحتها). وفي إطار هذا الفهم نجد أبا حيان التوحيدي (ت ٣٧٦ هـ) يدخل التأويل في أنواع البلاغات، ويجعل البلاغات ضرورياً ((منها بلاغة الشعر وبلاغة الخطابة، وبلاغة النثر وبلاغة المثل، وبلاغة العقل وبلاغة البديهة، وبلاغة التأويل))^(١١)، وإذا كان التوحيدي قد ادخله في مثل هذه الأنواع من البلاغات التي قوامها الموهبة، فهو يجد التأويل موهبة، ثم يميز هذا النوع من البلاغات بمزية خاصة تجعل من البلاغات الأخرى، توظفاً لخدمته فهي تحتاج لغموضها إلى التدبر والتصفح اللذين (يفيدان وجوهاً مختلفة كثيرة نافعة) ؛ لأن تعدد الوجوه يعني تعدد المعاني، والغموض عنده هو الذي يوجد هذا التعدد، ويبرز دور الذات المؤولة برأيها الخاص في اكتشاف المعنى الباطن من النص الغامض ؛ لأن العلماء يتأولون الخطاب بالاستنباط الذي يكون أوله وآخره قائماً على ((جولان النفس واعتصار الفكر ويكونان بهذا النمط في أعماق هذا الفن وهاهنا تتنازل الفوائد، وتكثر العجائب وتتلاحق الخواطر وتتلاحق الهمم ومن أجلها يستعان بقوى البلاغات الأخرى المتقدمة حتى تكون معينة ورافدة في إثارة المعنى المدفون وإثارة المراد المخزون))^(١٢) فإن ذلك خفاء في النص يحتاج إلى سبر معرفي قائم على الإحاطة باستعمالات العرب لاستخراج (المعاني المدفونة). وهناك من يرى أن الغموض هو المستدعي لأن يقع التأويل وأنه يكون مقصوداً ((باعتبار أن هذا الغموض يكفل متعة جمالية تامة؛ و عليه يقوم ذلك السحر الخاص الذي تتميز به أنماط خاصة من الأعمال الفنية والأدبية فالصياغات اللغوية في العمل الأدبي تكون الجمل فيها واصفة لموضوعاتها باعتبارها موضوعات قصدية خالصة))^(١٣).

إذن لا تخلو هذه الصياغات من المقاصد، ويبقى التأويل إجراءً معرفياً يتخذ للكشف عن المقاصد المغيبة^(١٤). فهو لا يدعي أنه قادر على فهم النص الفهم الدقيق الصحيح، وإنما هو يسعى وتلك غايته الموسومة، وينتقل مفهوم التأويل إلى إطار أوضح من خلال معالجة النصوص التي لها معنى ظاهر وتحتمل معانٍ آخر، فيصبح ((استخراج معنى

الكلام لا على ظاهره بل على وجه يحتمل مجازاً أو حقيقة وهو الاخبار بمعنى الكلام))^(١٥)، فالوصول إلى المعنى المراد يتم بتجاوز المعطى الأول من اللفظ، وقد يكون المعنى الذي يتوصل إليه من المحتملات بالمجاز، أو يكون هو المراد الحقيقي، وخص الراغب الأصفهاني (ت ٤٠٢ هـ) التأويل بالمعاني كتأويل الرؤيا، فهو يستعمل في (الكتب الالهية)، وفي الجمل، ومنه قيل المؤئل للموضع الذي يرجع إليه، ذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً^(١٦)؛ ويقع التأويل لاشتراك في اللفظ، أو لأمر راجع إلى النظم أو لغموض المعنى ووجازة اللفظ^(١٧)، لان هذه الاحوال تصرف المؤؤل عن الاكتفاء بالدلالة الظاهرة إلى البحث عن ما يعينه في الوصول إلى المراد؛ إذ التأويل لا يبحث في الأصل عن دلالة مطابقة لموضوع يبحث عنه بقدر ما يعيد اكتشاف الدلالات انطلاقاً من قابلية النص^(١٨)، لذا فان السيد المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) عد من بعد عن تأويل ما احتواه كلام العرب من ملاحن وإشارات إلى الأغراض وتلويحات بالمعاني تحتاج إلى الفهم كان ظالماً لنفسه متعدياً طوره^(١٩). وجاءت عناية عبدالقادر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) لمباحث التأويل من خلال إبراز القيمة الجمالية للنظم واشترط في التأويل السليم أن لا يبتعد عن ميدان اللغة واحتمالية الألفاظ^(٢٠). ويقول: ((التأويل ان تنقل الكلام في معناه من صورة الى صورة من غير ان تغير من لفظه شيئاً او تحول كلمة من مكانها الى مكان اخر))^(٢١)، فنظرة الجرجاني الى التأويل هنا تحاكي المفاهيم الحديثة للتأويل؛ لان وضع اللفظ في سياق معين هو الذي يميزه وعلاقته بسياقه وتفتح افق المتلقي إلى إichاءات متعددة، كما ان معالجته لقضية المعنى و(معنى المعنى) تعكس رؤيته لقابلية اللغة في التعبير عن مستويات المعاني فيحيل مدلول أول إلى مدلول ثانٍ؛ لأنه يقول: ((تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة و)) (بمعنى المعنى)) أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى اخر كالذي فسرت لك))^(٢٢). وفي هذا الإطار من الفهم يدخل تعريف تودروف (للترميز) فهو يقول: ((أما اليوم فما عدنا نتمسك بالتقابل بين المعنى الحقيقي والمعنى المشتق وإنما نميز بين صيرورة الدلالة (حيث يستدعي الدال المدلول)، أو صيرورة الترميز حيث يرمز مدلول أول إلى مدلول ثانٍ))^(٢٣)، وهكذا فان الانتقال في مستويات الدلالة رسخت صفة

الاحتمالية. ولم يخرج مفهوم التأويل عن هذه الدائرة عند الاصوليين إذ يقول الغزالي (ت ٥٠٥ هـ): ((التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به اغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر، ويشبه ان يكون كل تأويل صرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز))^(٢٤). ومن هنا انطلق مبدأ الاستدلال عند استنباط المعنى المحتمل، على أن يكون هذا الدليل ظنياً لا قطعياً كي تبقى احتمالية المعنى الأول الذي يدل عليه الظاهر، ثم نجد الغزالي يضع ضوابط لاحتمالية اللفظ المؤول فيقول: ((إن الاحتمال تارة يقرب وتارة يبعد فإن قرب كفى في إثباته دليل قريب، وإن لم يكن بالغاً في القوة، وإن كان بعيداً افتقر إلى دليل قوي يجبر بعده حتى يكون ركوب ذلك الاحتمال البعيد اغلب على الظن من مخالفة ذلك الدليل، وقد يكون ذلك الدليل قرينة، وقد يكون قياساً وقد يكون ظاهراً آخر اقوى))^(٢٥)، انها عملية قائمة على القراءة وهذه العملية لا تكون على درجة واحدة من حيث الجهد لاستخراجها من الدليل، فهناك الدليل الواضح، وهناك الدليل الغامض البعيد، فالنصوص اللغوية من حيث دلالتها على معناها ذات مستويات متعددة، وكل نص معرض للتأويل وقابل له، وجعل ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) التأويل محصوراً في المجاز، فاللغة تحمل وجهين مؤكدين، وجهاً ظاهراً وآخر باطنياً: ((فهو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل ذلك بعبادة لسان العرب في التجوز بتسمية الشيء بشبيهه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عدت في تعريف أصناف الكلام المجازي))^(٢٦)، فيكون التأويل استعادة المعنى الحقيقي من وراء المجازي أي استعادة الباطن فيما وراء الظاهر دون ان يخل ذلك الاحتمال بحدود الدلالات التي تحملها بنية اللغة، ولما كان الابتعاد عن المعنى الملفوظ هو محور قضية المجاز، والعبرة بالمجاز انما هي المسافة التي يقطعها المتكلم قبل الوصول إلى المعنى النهائي المقصود من وراء الألفاظ، من هنا أصبحت النصوص التي تتوافر على أسلوب إيحائي رمزي هي النصوص التي تفترض التأويل، ويتحقق المعنى الإيحائي عندما تغير اللغة قانونها ويتعطل قانون المطابقة فتتولد الجمل الشعرية القابلة للتأويل، والتي يعجز قانون المطابقة عن اداء معانيها^(٢٧)، ولا يمكننا أن نغفل جزئية أخرى من جزئيات المجاز، وهي ان ما يراد به ليس هو المعنى الثاني فحسب، بل هو المعنى الأول والمعنى الثاني معاً فهو

حاصل انصهار المعنى الاول والثاني، فالخروج عن مألوف العبارة لا يبدل من ذات المعنى، وإنما هو معنى إضافي يتركب على المعنى الاصلي، وهي قضية مهمة من القضايا التي يقوم عليها الاجراء التأويلي، وقد أكد ابن رشد في موضع اخر دور القارئ في توليد الدلالة، بل انه يرد التأويل إلى تفاوت قرائح الناس وعقولهم على الفهم والتصور^(٢٨)، فيبني التأويل عنده على أساس منطقي هو التمايز بين اصناف القياس (البرهاني^(٢٩) والجدلي^(٣٠) والخطابي^(٣١))، بل على أساس اجتماعي هو انقسام الناس إلى خاصة تدرك الامور بنفسها وعامة تدركها بمثالاتها فيتولد الاختلاف في الاقوال من اختلاف معرفي، فالمدلول عنده واحد والدال كثير، فيستدعي الدال المدلول^(٣٢)، فدور القارئ ومرتبته ومستويات القراءة عنده هي التي تنتج الاختلاف؛ لان الذات المؤولة ليست ذاتاً معرفية فحسب، بل هي ذات اجتماعية وبنية نفسية، فكما للتأويل عناصره الموضوعية الكامنة في البنية اللغوية، كذلك له عناصره الذاتية المرتبطة بالشخصية الفردية والاجتماعية^(٣٣)، فهو يحصر التأويل في صنف خاص من الناس؛ لان التأويل في نظره ينتج عن القياس المنطقي ومعرفة المنطق والياته معرفة اختص بها صنف خاص من الناس. وتأكيد ابن رشد وجود الذات المؤولة بمقوماتها في التأويل يلتقي بتوجيه السهروردي (ت ٦٣٢ هـ) اختلاف التأويل باختلاف المؤولين: ((فالتأويل عنده) يختلف باختلاف حال المؤول من صفاء الفهم ورتبة المعرفة))^(٣٤)، فالذات المؤولة تختلف تاويلاتها تبعاً لحالها، في حين يقسم المعنى المعدول عن ظاهره إلى التأويل برأي ابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) الى ثلاثة اقسام: ((اما ان يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره، واما ان يفهم منه الشيء وغيره، وتلك الغيرية إما أن تكون ضدًا، أو لا تكون ضدًا، وليس لنا فيه قسم رابع، فالأول يقع عليه اكثر الاشعار، ويجري في الدقة واللطافة مجرى القسمين الآخرين، وأما القسم الثاني فانه قليل الوقوع جداً، وهو من اطرف التأويلات المعنوية؛ لان دلالة اللفظ على المعنى وضده اغرب من دلالاته على المعنى وغيره مما ليس بضده))^(٣٥)، ولا يتصور هنا ان اللفظ ياخذ دلالاته المحتملة بعيداً عن السياق، فالدلالات المحتملة تنتجها شبكة غير محددة من السياقات الممكنة التي لا يمكن ان يغفل المؤول دورها، وقد اشار الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) الى هذه الجزئية التي هي قوام الاجراء

التأويلي، وانطلق في مفهومه للتأويل من النص القرآني الكريم فهو يقول: ((التأويل صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة عن طريق الاستنباط))^(٣٦)، فيكون فهم اللاحق مستنداً الى فهم السابق، وتكمن فاعلية السياق النصي أو التركيبي في انه ينظر من خلاله الى النص في كليته وانسجامه، وليس بصفته نتوءات مجتزأة بعضها عن بعض، وكل معنى منتزع من السياق بالضرورة معنى لا يعبر عنه النص، كما ان دور المؤول يبرز من خلال عمله الاستنباطي الذاتي القائم على أسس معرفية من ضمنها معرفته بالمعطيات اللغوية وحقائق نصية خاصة بالمعنى الظاهر، على ان يكون الاستنباط مقيداً بالكتاب والسنة، فاذا خرج عن هذا النطاق اصبح من التأويلات المرفوضة، ويضع لنا الماوردي (ت ٩٧٤ هـ) نظرية في التأويل في سياق تحليله لطبيعة الكلام، فيرى التأويل احتمالاً قائماً في القول نفسه، ويستمد مشروعيته من داخل القول، فيقول: ((إن كلام كل كتاب وأخبار كل نبي لا يخلو من احتمال تأويلات مختلفة ؛ لان ذلك موجود في الكلام بنفس طباعه، ومعلوم ان الكلام كلما كان افصح واغرب واحسن نظماً وابعد مخرجاً كان اشد احتمالاً لفنون التأويلات وضروب التفاسير، ولا كلام اولى بهذه الصفات من كلام الله (ﷻ) إذ كان اوضح الكلام واوجزه واكثره رموزاً واجمعه للمعاني الكثيرة والاحرف اليسيرة، وكان كتابنا القرآن اولى الكتب اخصها بهذه المعاني إذ كانت اللغة التي انزل بها افصح اللغات))^(٣٧). فهو يرى قوام التأويل يعتمد على النص والذي له صفات خاصة تمكنه من احتمال اوجه معانٍ مختلفة، وفي قول الماوردي هذا ما يخالف توجهات ابن رشد في كون العملية التأويلية معتمدة على المتلقي ووعيه اكثر من ارتكازها على النص، والحقيقة التي تفرض نفسها تقول ان التأويل قائم على التفاعل المشترك بين النص والقارئ، فالنص الذي يمتلك سمات تجعله قابلاً للتأويل ؛ لأنه يوجد لدى المتلقي أثراً يجعله يتفاعل معه، فالعلاقة بين النص والمتلقي علاقة وجود ؛ لان قراءة النص والكشف عن مقاصده هو ما يمنح النص خاصيته الانفتاحية ((فالمفوظ يظل موجوداً بالقوة سواء افرزته الذات المنشئة له ام دفنته في بواطن اللامفوظ ولا يخرجها الى حيز الفعل الا متلقيه وهذا التلقي هو بمثابة انقذاح شرارة الوجود للنص ولماهية الاسلوب))^(٣٨)، وعلى هذا فان النص يتضمن بدوره اجزاء تعد بمثابة

مفاتيح دلالية تمكن القارئ من الدخول الى عالمه وكشف اسراره وغوامضه، واحتواء النص على الغموض والوضوح يعد بمثابة آلية مهمة للنص لتحويل فعل القراءة الى فعل ايجابي يساهم في انتاج دلالة النص، هكذا يكون انتاج الدلالة فعلاً مشتركاً بين النص والقارئ، ويكون من ثم فعلاً متجدداً بتعدد القراءة باختلاف ظروف القراءة من جهة اخرى^(٣٩)، ومن خلال ما تقدم يمكن ان نقول ان فعل تأويل النص مرتبط ارتباطاً كبيراً بالمتلقي الذي يذهب الى ما وراء المعنى من خلال محاولة استيعاب شبكة منظومة الدوال، ويمكن ان نقول ان حركة المؤول الفاعلة في النص تتركز في مراحل ثلاث هي:

تفسير النص وفهم النص والاستنباط، فالتفسير اذن جزء من عملية التأويل؛ لان عملية التفسير تعنى بشرح المفردات والالفاظ شرحاً لغوياً يؤدي الى المعنى الظاهر من النص.

وقد ارتبط مصطلح التأويل في اطار التداول اللغوي بمصطلح التفسير ارتباطاً وثيقاً وضعهما على قدم المساواة معاً من حيث حاجة المفسر او المؤول لهما معاً، فكان من الطبيعي ان لا تتجاوز ثنائية العلاقة بين كلا المصطلحين حدود التعامل مع النص، ولا بد من ان تشير الى ان السياق اللغوي لتداول لفظ التفسير يؤكد دوران مفهوم هذا المصطلح على معنى الكشف والبيان والايضاح، وانه ماخوذ من الفسر ومنه (التفسرة) وهو لفظ اطلق على الماء الذي ينظر فيه الطبيب ليستدل على مرض البدن وان كل شيء يعرف به تفسير الشيء هو التفسرة^(٤٠). ففعل التفسرة يعتمد على واسطة من دونها لا يتم هذا الفعل وهو (الوسيط) الذي يستدل به الطبيب على مرض المريض، وفعل (النظر) من جانب الطبيب، هو الذي يمكنه من فحص المادة واكتشاف (العلة)، وهي تعتمد على معرفة الطبيب بالعلل ومظاهرها^(٤١). فعملية التفسرة هذه قائمة على اساسين متلازمين هما (الوسيط) ويشمل الموضوع او النص، وإحاطة الذات الناظرة في المادة، وبدون هذا تتحول المادة الى شيء لا دلالة له على الاطلاق، وتلتقي دلالة الاصل الاشتقاقي الثاني لمصطلح (التفسير) (سفر) بدلالة الاصل الاشتقاقي الاول (فسر) في الدلالة على (الكشف والظهور والبيان) على الرغم من كونها دلالة فرعية؛ لانه تقابلنا دلالات عدة مركزها (الانتقال والارتحال)؛ فالمسافر سمي مسافراً، لانه يكشف ما كان خافياً، (وسمي

السفر سفرًا لأنه يسفر عن وجوه المسافرين واخلاقهم فيظهر ما كان خافياً منها))^(٤٢) (السفير) الذي يصلح بين الناس ؛ لأنه يزيل ما كان من عداوة وخلاف، والسفير وسيط يوضح أو يوصل للمقابل وجهة نظر المتكلم الذي احتيج الى توضيح وجهة كلامه؛ من هنا كان السفر الكشف المادي والظاهر، والفسر الكشف المعنوي الباطن^(٤٣)، فدلالة المادتين واحدة في النهاية وهي الكشف عن شيء مختبئ من خلال وسيط يعد بمثابة علامة دالة للمفسر من خلالها يتوصل إلى هذا الخبيء، وقد ارتبط المعنى اللغوي والاصطلاحي بالإشارة الى فاعلية عملية التفسير، ومن ثم حاجة المفسر لنص معين ان يكون ملماً بعلوم عدة، كعلم القراءة واحكام النطق ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية، ومعانيها التي تدل عليها حالة التركيب^(٤٤) فتكون العملية هنا ألصق بالمفردات والالفاظ، وفعل المفسر يكمن في ازالة أي تعقيد او غموض في المفردات للوصول بها الى الوضوح للسامع، فهو لا يبحث عن مقصدية المتكلم، وانما هو يسعى لتوضيح بناء المفردات داخل النص فهي عملية تسبق عملية الفهم والاستنباط وتحاول ازالة العوائق امام المؤول. ولا يمكن للتأويل ان يكتفي بتفسير الشيء ؛ لأنه يبحث عن ما هو اول في الشيء وعن اصل الشيء لأنه يعني الترجيح ؛ من خلال البحث في المعاني المحتملة الماخوذة من الدوال، التي يحتاج في قصد واحد منها الى ترجيح بإمارات ودلائل اكثر من معاني الالفاظ اللغوية، في حين يبحث التفسير في شرح المفردات والالفاظ شرحاً لغوياً يؤدي الى المعنى الظاهر

من النص^(٤٥)؛ لان همه الاول ازالة الغموض لذا فالنشاط التأويلي يعتمد التفسير بوصفه آلية تمكنه من استكناه مراد المتكلم وهو ضروري لتجنب سوء الفهم. اذن فالتأويل والتفسير تجربتان تشيران الى سعي القارئ لفهم النص من خلال اعادة بناء تاريخي موضوعي للنص من خلال تجربة التفسير، ثم يأتي دور المؤول الذي يفهم اللغة بوصفها منظومة دلالية تتجاوز البنى الاجرائية مؤسسة على رموز ودوال قابلة للتجدد مع كل قراءة تأويلية جديدة، وقد ذهب اللغويون وبعض المفسرين الى ان التفسير فيه قطعية الدلالة، في حين التأويل ليست فيه هذه القطعية، وإنما يبقى الاحتمال متأرجحاً بحسب قوة الادلة، فقد قال الماتريدي (ت٣٣٣هـ) ((التفسير القطع بان مراد الله تعالى كذا والتأويل ترجيح احد

المحتملات بدون القطع فان قام دليل مقطوع به على المراد يكون تفسيراً بالرأي وهو حرام ؛ لانه شهادة على الله تعالى بما لا يأمن ان يكون كذباً^(٤٦)، إذن فالتأويل يختلف عن التفسير بالرأي، انه لا يقطع بالاحتمال الذي يذهب اليه المؤول وبذا يأمن الكذب الا انهما يتفقان في كونها عملية ذهنية اجتهادية متوجهة الى النص، وينصب مفهوم الاجتهاد على التأويل في مجال الفقه واستخراج الاحكام من النص ولاشك في ان هذه تؤكد دور القارئ في كشف دلالة النص ؛ لان المؤول يحتاج الاجتهاد للترجيح الدلالي، وعمله قائم على التفسير الذي هو: ((اخبار عن افراد احاد الجملة، ووضع كل شيء منها موضعه، ومنه اخذ تفسير الامتعة بالماء والمفسر هو ما فهم معناه بنفسه وذلك لما يتبين كما تبين ماله تفسير، في حين ان التأويل الاخبار بمعنى الكلام والاخبار بغرض المتكلم))^(٤٧)؛ لان وظائف التأويل تنصب في البحث عن ما وراء الدال، وعن مجموع المدلولات وتحديد مستويات المعنى، ويتجلى ذلك من خلال الكشف عن تركيبية النص، وشرح العلاقات التي تحكم نسيج النص، واختص تفسير القرآن ((في غريب الالفاظ كالبحيرة والسائبة والوصيلة، او في تبين وشرح كقوله: (واقموا الصلاة واتوا الزكاة)^(٤٨). وأما في كلام مضمن بقصة لا يمكن تصوره الا بمعرفتها نحو قوله تعالى: (انما النسيء زيادة في الكفر)^(٤٩) وقوله تعالى: (وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها)^(٥٠)))^(٥١)، إذن التفسير يتعلق بعلوم معرفية تاريخية خاصة نقلية هي من آليات عملية التفسير، وأساس معرفته كمعرفته بعلوم القراءة واسباب النزول والاحكام الشرعية، وغيرها. فضلاً عن علمه باللغة والاساليب العربية، لان المفسر يحاول الوصول إلى الوضوح بقدر طاقته، اما التأويل فانه ((يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً نحو الكفر المستعمل تارة في الجود المطلق وتارة في جود البارئ خاصة والايمان المستعمل تارة في التصديق المطلق وفي تصديق دين الحق تارة واما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظة وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود))^(٥٢)، فالمؤول يرصد التفاعل الثنائي بين الخارج والداخل ؛ لانه يرصد حركة المعنى من خلال الترابط السياقي مستفيداً مما يقدمه له الاجراء التفسيري، فضلاً عن افقه المعرفي الذاتي، فاللغة تسمح باستعمال كيان معين مقام كيان آخر، وهنا تتركز فاعلية العقل وقدرته على ايجاد الادلة والبراهين لتيسير عملية الفهم، وقد جعل القدماء

قوام عملية التفسير الرواية وقوام عملية التأويل الدراية، فغدا التفسير مقصوراً على الاتباع والسماع، وتعلق التأويل بالاستنباط ويمكن ان يقال: ((ان التفسير بيان لفظ لا يحتاج الا وجهاً واحداً، والتأويل توجيه لفظ متوجه الى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الادلة))^(٥٣) ويتوصل الى الادلة بالاجتهاد وفي فهم الالفاظ ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق، ويرى الزركشي ارتباطاً وثيقاً بين الاجتهاد والتأويل، إذ يذهب الى ان ما يرجع الى اجتهاد العلماء هو الذي يغلب عليه اطلاق التأويل، وهو صرف اللفظ الى ما يؤول اليه، فالمفسر عنده ناقل والمؤول مستنبط^(٥٤)، والاستنباط قائم على جهد عقلي يبذله المؤول للوصول الى الفهم، وقد اشار الشريف الجرجاني الى الفرق بين التأويل والتفسير من خلال نموذج تطبيقي لنص قرآني في قوله تعالى: (يخرج الحي من الميت)^(٥٥) إن اراد به اخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وان اراد به إخراج المؤمن من الكافر، او العالم من الجاهل، كان تأويلاً^(٥٦)، وكأننا هنا امام مستويات في تحليل النص، فهو يحمل دلالة اولى قريبة عامة ثم خصصت بإيراد من خلال الالفاظ، اما المستوى الثاني في الدلالة والذي حمل المعنى البعيد للسياق المتألف المنسجم مع اجزائه والنص يحتل الوجهين معاً؛ لان المؤول يعتمد على معرفة اوسع يستعملها في الوصول الى المراد فيحاول ترشيح ممكنات تحتملها اللفظة وبإمكانها ان تتسجم مع السياق العام فاصبح (الحي) بمعناه القريب المادي (الطير)، ثم انتقل الى ما يمكن ان يفهم منه معنى الحياة (كالمؤمن) بمفهوم النص القرآني او (العالم) واصبح الميت يقابل (البيضة) وفي مستوى آخر (الكافر) و(الجاهل) فالمؤول يحاول تقليب كل الدلالات المحتملة، والتي تعكس عملية استنباط ذهني قائم في ذهن المؤول للوصول الى المراد من النص، وقد جعل السيوطي الدليل يتبلور في عمل المفسر فيقول: ((التأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد، لان اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، من ذلك قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ)^(٥٧) تفسيره انه من الرصد، يقال رصده: رقبته، والمرصاد، مفعال منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله (ﷻ)، والغفلة عن الالهة والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الادلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة))^(٥٨) فتختص دليوية التأويل بالتفسير الذي مرجعه الى القطع بالمراد به، في حين كان الجائز

بالرأي هو التأويل لا التفسير، ويعود التفسير الى وجود لبس وخفاء في الكلام فيؤتى بالتفسير ليزيله، ويعد التفسير للشيء لاحقاً به ومتمماً له وجارياً مجرى بعض اجزائه، ويبدو التفسير خاصاً بالجوانب العامة الخارجية للنص، في حين يصبح مجال التأويل متسعاً لكل اقسام النص، ولا يقف عند حدود ما هو غامض أو على درجة عالية من الكثافة الدلالية.

مصطلح التأويل في النص القرآني

إن للقرآن الكريم خصائص على مستوى المعجم، إذ له معجمه القولي الخاص، وداخل هذا المعجم تتضح خصائص لغوية استعمالية تداولية بوصفها فاعلة في السياق اللغوي الذي يحتضنها، وإذا ما تتبعنا الحركة الدلالية للفظة التأويل في النص القرآني وجدناها تتوارد على سبعة عشر موضعاً، ويتركز فعل التأويل ايضاً من وجود ظاهر وباطن، ولا بد من ان نشير الى ان اول نص قرآني في المعجم ترد فيه لفظة التأويل كان بمثابة التنبيه على الحدود المقبولة لحركة التأويل داخل النص القرآني، وذلك في قوله تعالى: (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وآخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا)^(٥٩)، فالتأويل حركة ذهنية متوجهة الى النص تتجه الى اتجاهين: الاول: (الرجوع الى الاصل)، والثاني: (الوصول الى الغاية والهدف)؛ فقد توجهت الدلالة هنا الى معنى (الوصول الى الهدف والغاية) بدلالة حركة الاتباع الذهنية للمتشابه لتحقيق هدفين على النحو المذكور في النص، وذلك بدلالة المفعول لاجله (ابتغاء)، هما (الفتنة) و(تأويله) الذي اختص بأنه موجه لغاية، ويتجاوز مع (ابتغاء الفتنة)؛ فهو سعي ذهني قائم على التلاعب اللغوي بالكلمات بحيث تصبح اللغة اداة مروضة بيد فعل التسلط الذي يمارسه المؤول، فتكون الغاية او الهدف من اتباع المتشابه ايقاع الفتنة والوصول الى ما يبتغي القارئ اثباته، وبعد الوصول الى الفهم المكروه عندئذ يدخل دائرة التأويلات المرفوضة، والحق ان هذا النص كان مثار خلاف المفسرين واللغويين^(٦٠)، عندما ظنوا انه يسن قانوناً لتأويل المتشابه. والواقع ان ما

يفهم من النص ((انه ما يعلم تأويل المتشابه الا الله (ﷻ) والراسخون يعلمون تأويله بالدلائل قائلين آمنة به))^(٦١)، فيكون التأويل المنهي عنه الذي يستهدف الفتنة، والذي لا يعلمه الا الله (ﷻ) وهو ((الغاية)) المجهولة للبتر^(٦٢)، او القطع. ويمكن ان نصنف الحركة الدلالية لكلمة التأويل في النصوص القرآنية على محاور:

المحور الاول: يبحث في الكشف عن الدلالة الخفية الباطنة التي لا تتكشف الا من خلال افق غير عادي هو (العلم اللدني)، الذي لا يعتمد على وسيط او اشارات او رموز تحيل الى المعنى الباطن، وتحصيل المدلول، ويتركز هذا في قول يوسف (ﷻ): (قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نياتكما بتأويله قبل ان ياتيكما)^(٦٣)؛ فهو اذن الاخبار بالغيب وانه (ﷻ) ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيها ويصفه لهما^(٦٤)، وذلك المعنى يستند على مرجعيتين الاولى: عود الضمير في (تأويله) على المفرد وهذا يبعد احتمال كون التأويل متوجهاً في هذا النص الى الرؤيا التي رآها السجينان، وهذا ما ذهب اليه ابن عاشور، والثاني: ان السياق يرشح كون التأويل انبأهم بما سيأتيهم من طعام؛ لانه في هذا المقام يتحين الفرصة للاعلان عن دينه ودعوتهم للدخول فيه، وتقنيده ما كان يعبد القوم انذاك، ثم ان هناك إشارة يمكن ان تؤيد كون المعنى يتوجه هذه الوجهة، وذلك في قول عيسى (ﷻ): (وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم)^(٦٥)؛ فهي معجزة على اعتبار انها من احوالهم التي لا يطلع عليها احد، فهو افق غير عادي لا يعتمد على وسيط؛ لان فيه رجوعاً إلى الأصل الذي يحتاج الى آليات فهم خاصة، ويمكن ان يدخل في هذا المحور قول يعقوب (ﷻ) ليوسف (ﷻ): (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل..)^(٦٦)، فالتأويل هنا هو معرفة المال، فالقصد ان الله (ﷻ) سيختاره ويعلمه ويهبه من صدق الحس ونفاذ البصيرة ما يدرك به من الاحاديث مآلها الذي تنتهي اليه وهو إلهام من الله (ﷻ) لذوي البصائر المدركة النافذة، والتعقيب^(٦٧) بقوله: (ان ربكم عليم حكيم) يعطي دلالة اكبر كونه يعلمه تأويل الرؤى والاحلام إلى الحكمة والعلم. والحديث في اللغة ما تخبر به عن نفسك من غير ان تسنده الى غيرك وسمي حديثاً؛ لانه لا تقدم له وانما هو شيء حدث لك فحدثت به^(٦٨). فاذن المراد بتأويل الاحاديث اوسع من كونه

القدرة على تعبير الرؤيا، ففي اللفظ دلالة على عدم اقتصار التعليم على فهم الرؤيا، وإنما يتجاوز ذلك، بدليل وروده في سياقين مسند الى الاحاديث مع اختلاف الجهة التي يصدر عنها القول.

الجهة الأولى:

المتحدث النبي يعقوب (عليه السلام): (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث) (٦٩)

الجهة الثانية:

الضمير العائد على الله (ﷻ): (وكذلك مكننا ليوسف في الارض ولنعمله من تأويل الاحاديث) (٧٠) فهو علم لدني، يفوق علم البشر، فضلا عن عدم الحاجة الى وسيط للوصول اليه.

والمحور الثاني: ينبعث من الكشف عن الدلالة الخفية الباطنة فيغدو النص علامة كلية تركيبية، رموزاً وإشارات قابلة لقراءة تأويلية في محاولة لاستيعاب شبكة الدوال والذهاب الى ما وراء المعنى للوصول الى الفهم.

وتتمركز فاعلية المؤول هنا بفك رموز الرؤيا التي ينقلها الرائي من خلال وسيط هي الصورة التي ينقلها صاحب الرؤيا بشكل صور (٧١)، او تتجسد في أفعال العبد الصالح التي كانت رموزاً وعلامات امام موسى (عليه السلام) ظاهرها شيء وباطنها شيء آخر، فاحتيج الى تأويلها ؛ لانها تناقضت والافق المعرفي لدى موسى (عليه السلام). وقد اقترنت في هذا الموضع بلفظ النبأ فقال: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبورا) (٧٢) فالمقاصد التي ابتغاها العبد الصالح بأفعاله احتاجت إلى سياق، والى تزويد المتلقي (موسى عليه السلام) بمعرفة خلفية عن الرموز التي تجسدت امامه والتي ظاهرها متناقض ومقصدها. كما ان لفظة (النبأ) المقيدة هنا بسين الاستقبال، يأتي موحياً بمجيء الخبر من ارض اخرى، أي ما يشير الى تغاير المكان؛ فضلا عن صلته بما هو مغيب عن إدراك الإنسان (٧٣)، يعطينا المعنى المعجمي للفظ إيحاءً بانفتاح عالمن احدهما على الآخر، عالم البشر المتمثل بموسى (عليه السلام)، وعالم آخر خفي يمثل علماً أرقى اقرب إلى الغيب.

والمحور الثالث: الذي يعنى بالكشف عن الدلالة الخفية الباطنة من خلال الاصلاح والسياسة والعناية للوصول الى الغاية ومنتهاها هي في قوله: (واوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلاً) ^(٧٤)، فتأتي كلمة تأويل هنا منقطعة عن الاضافة لا بسبب موقعها الاعرابي فحسب، بل بسبب استخدامها الدلالي ايضاً ^(٧٥)، ((أي احسن ارجاعاً، إذا ارجعه المتأمل الى مراجعه وعواقبه، لان الانسان عند التأمل يكون كالمنتقل بماهية الشيء في مواقع الاحوال من الصلاح والفساد فاذا كانت الماهية صلاحاً استقر رأي المتأمل على ما فيها من الصلاح فكأنه ارجعها بعد التطواف الى مكانها الصالح بها وهو مقرها فاطلق على استقرار الرأي بعد التأمل اسم التأويل على طريقة التمثيل)) ^(٧٦). ويسير في هذا الاتجاه من المعنى مع فارق بسيط قوله تعالى: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) ^(٧٧)، فهناك ما يحتاج الى التأمل وتجميع الأدلة والتدقيق والنظر بحيث تحصل الاحاطة بالعلم، فهناك خفاء ما يتطلب توضيحاً وهو في هذا السياق يعني ((لما يأتهم تأويل ما يدعون انهم لم يفهموه من معاني القرآن لعدم اعتيادهم بمعرفة امثالها، مثل حكمة التشريع، ووقوع البعث وتفضيل ضعفاء المؤمنين على صناديد الكافرين، وتنزيل القرآن منجماً.. فهم كانوا يعدون الامور بما آفوه من المحسوسات وكانوا يقيسون الغائب على الشاهد فكذبوا بذلك وأمثاله قبل ان يأتهم تأويله، ولو امنوا ولازموا الرسول ﷺ) لعلموها واحدة بعد واحدة.. فقد حسبوا عدم التعجيل به دليلاً على الكذب)) ^(٧٨)، فقد كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للأباء، وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً ^(٧٩)، وقد ذهب الرازي مذهباً آخر واطلق دلالة النص على العموم، فاصبح من لا يعرف التأويل واقعاً في الكفر؛ لان ظواهر النصوص قد يوجد فيها ما تكون متعارضة ^(٨٠)، فاذا لم يعرف الانسان وجه التأويل فيها وقع في قلبه ان هذا الكتاب ليس بحق (حاشا القرآن الكريم)، اما اذا عرف وجه التأويل طبق التنزيل على التأويل، فهم لم يرجعوا الى ما في عقولهم من معلومات سابقة لكون القرآن اشتمل على امور سبقت نزوله، فالكفار ينكرون صدقه لاغراض في نفوسهم، فما في الكتاب يحتاج الى فهم التدبر بالعقل لادراك صحته، وتأتي الدلالة الصريحة على (العاقبة والمآل) في معاني التأويل في قوله تعالى: (هل

ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) ^(٨١) فتأويله جزاؤه أي جزاء تكذيبهم بالكتاب وما وعد الله فيه من البعث والحساب، فيوم يأتي تأويله، أي تبدو عواقبه يوم القيامة ^(٨٢)، فالضمير ظاهره عائد على الكتاب والحقيقة وان المرجعية إن كانت على الكتاب، إلا ان المراد ما ذكر في الكتاب مما يخص الوعد والوعيد ؛ جزاء لهم على ما فعلوه، فيكون تأويله توضيح معنى ما عدوه محالاً وكذباً من البعث والجزاء ورسالة محمد (ﷺ) ووحداية إلاله والعقاب، فذلك تأويل ما جاء به الكتاب، أي تحقيقه ووضوحه بالمشاهدة ^(٨٣).

من هنا نجد ان مفهوم التأويل في النص القرآني كانت منطلقاته لا تخرج عن مبدأ تفاعل الظاهر والباطن، فضلاً عن ارتكازه على الافق المعرفي للمتلقي، وبذلك فإنه حركة ذهنية تبني المعنى من تفاعلها مع النص كله.

الهوامش

- (١) العين، الخليل، : ٣٦٩/٨، مادة (أول).
- (٢) تهذيب اللغة، الازهري: ٤٣٧/١٩، مادة (أول).
- (٣) م. ن: ٤٣٧/١٥.
- (٤) معجم مقاييس اللغة: ١٥٨/١-١٦٢، مادة (أول).
- (٥) الصحاح: ١٦٢٧/٤، مادة (أول).
- (٦) الغزالي، المستصفى في علم الاصول: ٣٧٨/١، وينظر السرخسي، اصول السرخسي: ١٢٧/١.
- (٧) لسان العرب: ٣٢/١١، مادة (أول).
- (٨) م. ن: ٣٤-٣٥، مادة (أول).
- (٩) البيان والتبيين: ٣٧٦-٣٧٧/٣ ؛ و=: الحيوان: ١٨/١.
- (١٠) تأويل مشكل القرآن / ٧٧.

- (١١) الامتاع والموانسة: ١٤١/٢-١٤٢.
- (١٢) م. ن: ١٤٢/٢.
- (١٣) الخبرة الجمالية، سعيد توفيق / ٤١٥.
- (١٤) اشار الى هذه الفكرة القاضي الجرجاني (ت٣٦٦هـ) في كتابه الوساطة / ٣٧٤.
- (١٥) الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري / ٤٣-٤٤.
- (١٦) مقدمة التفسير، الراغب الاصفهاني / ٤٣-٤٤.
- (١٧) م. ن / ٤٣-٤٤.
- (١٨) التأويل والحقيقة، علي حرب / ٥٨.
- (١٩) امالي المرتضى: ٧/١.
- (٢٠) اسرار البلاغة / ٣٩٢.
- (٢١) دلائل الاعجاز / ٣٧٤.
- (٢٢) دلائل الاعجاز / ٢٦٣.
- (٢٣) الشعرية / ٣٣.
- (٢٤) المستصفي من علم الاصول: ٣٨٧/١ و=: الاحكام في اصول الاحكام، الامدي: ٥٣/٣.
- (٢٥) المستصفي من علم الاصول: ٣٨٧/١.
- (٢٦) فصل المقال / ٣١.
- (٢٧) بنية اللغة الشعرية، جان كوهين / ٢٠١.
- (٢٨) فصل المقال / ٢٦.
- (٢٩) البرهاني: يقصد به اثبات حقيقة ما انطلاقاً من مقدمات تعد يقينية.
- (٣٠) الجدلي: ان يذكر المتكلم معنى يستدل عليه بضرب من المعقول ؛ =: الفوائد المشوق / ١٩٣-١٩٤، وهو في المنطق من مقدمات القياس التي يأتي بها شخص لاقامة الحجة على أي مطلب كان حق او باطل لالزام الخصم وتتالف مقدماته من المشهورات وهي القضايا التي اتفقت عليها اراء الجميع وازراء طائفة خاصة، ومن المسلمات وهي القضايا التي يسلم

- بها الخصم ويقبلها وان لم تكن صحيحة عند المستدل ؛ =: الموجز في المنطق، صادق الحسيني الشيرازي / ١٠٤ .
- (٣١) الخطابي: في اصل اللغة هو توجيه الكلام نحو الغير للفهام، ثم نقل الى الكلام الموجه نحو الغير للفهام ؛ =: كشاف اصطلاحات الفنون: ٤٠٣/١، فالغاية من هذا الصنف من اصناف القياس المنطقي التأثير العقلي والتاثير العاطفي واثارة المشاعر والانفعالات، =: الشيرازي / ١٠٢-١٠٩ .
- (٣٢) دولة الخلافة بين المشروعية والمعقولية، علي حرب، مجلة دراسات عربية، العدد ٧، مجلد ١٨، ١٩٨٢ / ٦٠-٦١ .
- (٣٣) سلطة النص، عبدالهادي عبدالرحمن / ٣٤١ .
- (٣٤) غوارف المعارف / ٢٥-٢٦ .
- (٣٥) المثل السائر: ٦٣/١-٦٤ .
- (٣٦) البرهان في علوم القرآن: ١٦٣/٢ .
- (٣٧) الاحكام السلطانية / ١٧٣ .
- (٣٨) الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي / ٨٣ .
- (٣٩) مفهوم النص / ١٧٨ .
- (٤٠) العين: ٢٤٨/٧، مادة (فسر).
- (٤١) مفهوم النص / ٢٢٤ .
- (٤٢) تهذيب اللغة: ٤٠٢/١٢ .
- (٤٣) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب، امين الخولي / ٢٧١ .
- (٤٤) البحر المحيط، ابو حيان: ١٣/١-١٤ .
- (٤٥) =: مشكلة التأويل العقلي عند مفكري الاسلام، سعيد زايد، حويات كلية الاداب، جامعة الكويت، الحولية (٦)، الرسالة (٢٨)، لسنة ١٩٨٥ / ٩-١٠ .
- (٤٦) تأويلات اهل السنة، ابو نصر الماتريدي: ٢٤/١ .
- (٤٧) الفروق اللغوية / ٤٣-٤٤ .

- (٤٨) سورة النور، من الآية / ٥٦.
- (٤٩) سورة التوبة، من الآية / ٣٧.
- (٥٠) سورة البقرة، من الآية / ١٨٩.
- (٥١) مقدمة في التفسير / ٤٠٢.
- (٥٢) م. ن / ٤٠٢.
- (٥٣) كشف الظنون: ٣٣٤/١.
- (٥٤) البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٨٣.
- (٥٥) سورة آل عمران، الآية / ٢٧.
- (٥٦) التعريفات / ٢٣.
- (٥٧) سورة الفجر، الآية / ١٤.
- (٥٨) الاتقان في علوم القرآن: ١٤٩/٢-١٥٠.
- (٥٩) سورة آل عمران، الآية / ٧.
- (٦٠) =: الكشاف: ٣٢٨/١؛ وتفسير المنار: ١٦٧/٣؛ التحرير والتنوير: ١٦١/٣.
- (٦١) اثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الاحكام من آيات التشريع، عبدالقادر السعدي / ١٥٣.
- (٦٢) مفهوم النص / ٢٣١.
- (٦٣) سورة يوسف، من الآية / ٣٧.
- (٦٤) =: البحر المحيط: ٣٠٩/٥.
- (٦٥) سورة آل عمران، من الآية / ٤٩.
- (٦٦) سورة يوسف، من الآية / ٦.
- (٦٧) في ظلال القرآن: ١٩٧١/٤.
- (٦٨) الفروق اللغوية / ٢٨.
- (٦٩) سورة يوسف، من الآية / ٦.
- (٧٠) س. ن، من الآية / ٢١.
- (٧١) ن، رؤيا الملك الآية / ٤٣، ورؤيا يوسف (عليه السلام) الآية / ٤.
- (٧٢) سورة الكهف، من الآية / ٧٨.

التأويل وأداؤه الوظيفي - مقارنة تراثية -

الأستاذ المساعد عماد عبد يحيى / المدرس نوار محمد إسماعيل

- (٧٣) المعرفة بالموروث الدلالي - دراسة تطبيقية في قصة العرس، د. عماد عبد يحيى، آداب الرافدين، العدد (٢٦)، سنة ١٩٩٤ / ٢٩١.
- (٧٤) سورة الاسراء، الآية / ٣٥ و=: سورة النساء، الآية / ٥٩.
- (٧٥) مفهوم النص / ٣٢٠.
- (٧٦) التحرير والتنوير: ٩٩/١٥.
- (٧٧) سورة يونس، الآية / ٣٩.
- (٧٨) التحرير والتنوير: ١١/١٧٢.
- (٧٩) =: التفسير الكبير: ٩٩/١٧.
- (٨٠) =: البحر المحيط: ١٥٩/٥.
- (٨١) سورة الاعراف، الآية / ٥٣.
- (٨٢) الجامع لاحكام القرآن: ٧/٢١٧ و=: فتح القدير: ٣/٢١٢.
- (٨٣) =: التحرير والتنوير: ٨/١٥٤.

المصادر

- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- اثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، عبد القادر عبد الرحمن السعدي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٦م.
- الاحكام في أصول الاحكام، سيف الدين علي بن محمد الامدي، (ت ٦٣١هـ)، القاهرة، ١٩٦٧م.
- أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، (ت ٤٧١هـ)، القاهرة، ١٩٦٦م.
- الأسلوبية والأسلوب، بيير جيرو، ترجمة: د. منذر عياشي، مركز الانماء القومي، لبنان، د.ت.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس "حو النص"، محمد الشاوش، كلية الآداب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط ١، ٢٠٠١م.

- أصول السرخسي، ابو بكر محمد بن احمد بن سهل، (ت ٤٨٣هـ) لجنة احياء المعارف النعمانية، تحقيق: ابو الوفا الافغاني، حيدر اباد، ١٣٧٢هـ.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، خرج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، علي بن الحسين بن موسى المرتضى، (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ١، د. ت.
- الإمتاع والمؤانسة، علي بن احمد بن علي الصوفي أبو حيان التوحيدي، صححه: احمد أمين، واحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت-صدا، ١٩٥٣م.
- بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي محمد العمري، دار توبقال للنشر، لدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٦م.
- البيان والتبيين، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د. ت.
- تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، (ت ١٢٠٥هـ)، بيروت، ١٩٦٦م.
- تأويلات اهل السنة، ابو منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي، (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور ابراهيم عوضين والسيد عوضين، القاهرة، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
- تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ترجمه ونشره: السيد احمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- التأويل والحقيقة (قراءات تاويلية في الثقافة العربية)، علي حرب، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- التفسير الكبير المسمى بـ (البحر المحيط)، اثير الدين ابو عبد الله بن حيان الاندلسي الشهير بابي حيان (ت ٧٤٥هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١، د. ت.
- تهذيب اللغة، ابو منصور الازهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: ابراهيم الاباري، القاهرة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

-
-
- **الجامع لاحكام القرآن**، ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق وتصحيح: احمد عبدالعليم البردوني وابو اسحاق ابراهيم طفيش، مطبعة دار القلم، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية، ط٣، ١٩٦٦-١٩٦٧م.
- **الحيوان**، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي واولاده، ط٢، د. ت.
- **الخبرة الجمالية (دراسة في فلسفة الجمال الظاهرية)**، سعيد توفيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- **دلائل الاعجاز**، عبدالقاهر الجرجاني، حققه وقدم له: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط٢، ١٩٨٧م.
- **سلطة النص**، الدكتور عبدالهادي عبدالرحمن، سينا للنشر، ط١، ١٩٩٨م.
- **شرح المفصل**، يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
- **الصاحح (تاج اللغة وصحاح العربية)**، اسماعيل بن حماد الجوهري، (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبدالغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، المطبعة العربية، ١٩٨٧م.
- **علم النص**، جوليا كوستيفا، ترجمة: مزيد الزاهي، مراجعة: عبدالجليل ناظم، المغرب، [١٤١١هـ]-١٩٩١م.
- **العين، المسمى (كتاب العين)**، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م.
- **غوارف المعارف المسمى (كتاب غوارف المعارف)**، عبدالقادر بن عبدالله السهروردي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦م.
- **فتح القدير**، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٢هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت.

- الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.
- في بناء النص ودلالاته (محاوّر الإحالة الكلامية)، مريم فرنسيس، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٨، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل، جازالله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مصطفى عبدالله القسطنطيني، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.
- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ) دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٧هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: احمد الحوفي، وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، ط١، ١٩٥٩م.
- المستصفي من علم الاصول، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، المطبعة الاميرية، بولاق، مصر، ط١، ١٣٢٢هـ.
- المفصل في علم العربية، الزمخشري، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط٢ ١٣٢٣هـ.
- مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد ابو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٤، ١٩٩٨م.

-
-
- مقاييس اللغة المطبوع بعنوان (معجم)، ابو الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- من أسرار اللغة، الدكتور ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٦، ١٩٧٨م.
- الموجز في المنطق، صادق الحسيني الشيرازي (ت ٧١٠هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- مشكلة التأويل العقلي عند مفكري الإسلام، سعيد زايد، حوليات كلية الاداب، جامعة الكويت، الحولية ٦، الرسالة ٢٨، ١٩٨٥م.
- المعرفة بالموروث الدلالي دراسة تطبيقية في قصة العرس، الدكتور عماد عبد يحيى، اداب الرفادين، العدد ٢٦، ١٩٩٤م.

Abstract

Construe is a dialogue between a mentioned and a deleted thing or it is regaining the interior which is behind the exterior with out affecting the meaning , limits that the language carries trying to discover all the possible meanings that reflect the auto-invention's activity in guiding the contrary to the contrary textual meaning that depending on a familiar basics (references) Among the language data and textual facts concerning to exterior meaning that is considered as a meaning Ful Keys which enable the reader to enter the text's world and discover its secrets and ambiguity That the text contains ambiguity and clarity gives the construer the techniques of comprehension in the meaning.

So , the construe is based on the shared interaction between the text and the reader, the text : by what it has of characteristics that make it construable, and by what is done on the hearer within. And the reader by what reading the text gives him as an open style for construe that takes apart in introducing multi meanings for one text.